كيف ندرس المخطوطات

بقلم نور الدين بيهم

امين المخطوطات في دار الكتب اللبنانية

✯

لفهارس المخطوطات في دور الكتب شأن عظيم يشهد بذلك العناية الفائقة التي يبذلها « المفهرسون » لتأتي الادلة التي يضطلعون بها متوفرة فيها الشروط العلمية والاصول الفنية .

ولعلي لا اخفق كثيراً في ذكر بعض الاصول المتبعة في اعداد هذه الادلة والقواعد التي يسيرون عليها في وصف المخطوطات وفهرستها وما يقتضيه هذا العمل من الدقة العلمية والتحري في البحث والمقابلة والمقارنة بين النسخ الواحدة .

والمخطوطات اشكال وانواع منها ما كان غضاراً : آجراً او لبناً مشوياً بالقلم المسماري او برديا بالقلم الهيروغليفي او صفائح احجار وعظام واصداف وعاج وشمع ومعادن ورقوق وحرير وقطن واوراق شجرية او صناعية باقلام مختلفة غريبة . فكلها تصف لنا مدنية الشعوب التي خلفتها ودرجة رقيهم وحضارتهم واخلاقهم وعاداتهم وعلومهم ومعارفهم ومعتقداتهم وفنونهم وصناعاتهم وحوادث تاريخهم .

وكانت هذه الآثار الكتابية بحسب درجة قابليتها موضوع عناية النساخ والوراقين فينصرفون الى ضبطها وتصويرها ووشيها وتحليتها وتجليدها فكان ما نشاهده من بديع المخطوطات واعلاقها ما يأخذ حسنه بالانظار ومجامع القلوب .

ولهذه المخلفات الفكرية مزايا جمة تزيد في قيمتها واثمانها بالرغم من تكاثر المطبوعات وانتشار الكتب بيننا . ومن تلك المزايا التي يتفرد بها المخطوط على المطبوع ان يكون « كاملاً » غير مخروم او ناقص وان يكون « قديم العهد » ومضبوطاً اي مقروءاً على كبار العلماء ولا سيما المؤلف نفسه او احد انسبائه الادنين « مدبجاً » بتعاليق وحواش وفوائد وضعها المؤلف او العلماء المحققون وعليه اسم الناسخ وتاريخ النسخة واسم مقتنيها او واقفها او مطالعها ولا سيما اذا كان من مشاهير العلماء وحسن الترتيب جيد الخط والورق والحبر وافضل الورق ما كان حريراً لعدم تسرب العثّ اليه، او رقاً مصوراً او موشى محلى بالذهب والالوان البديعة وذا زيادات وتصحيحات وشروح لا توجد في غيرها في مخطوط او مطبوع وبخطوط المشاهير كابن عجلان والاحول ومالك بن دينار وقطبة وابن مقلة وابن هلال المعروف بابن البواب وياقوت الحموي وياقوت المستعصمي وابن حزم الاندلسي والولي العجمي والرياض البغدادي وزكريا الافريجي وعبد الرحمن الصائغ وابن ابي الجوع وغيرهم من مشاهير الخطاطين والنساخ وان يكون بديع التجليد ذا قمطر اي بيوت ومحافظ موشاة ومرصعة باناقة وفن وذا انواع من الخطوط البديعة .

فاذا اجتمعت كل هذه المزايا او بعضها وتوفرت في المخطوطة كل هذه الخصائص او جلها او احدها كان الكتاب مما يجب ان تتجه اليه الانظار وتحن عليه ضلوع المكتبات .

واما القواعد العامة المتبعة في صنع فهارس المخطوطات فانها تهدف الى التعريف بالكتاب واظهار ما خفي او غمض من معالمه ومقدماته فهي ترمي الى اظهار مضمون الكتاب بغية صيانته كما انه يجب ان ترمي الى الايضاحات والشروح والتعاليق التي نضعها في وصف المخطوط الى تحقيق هديته واستبانتها ويتم ذلك اذا استعرضنا مصدر الكتاب والمجاميع التي دخل فيها وما تقلب عليه من صروف الزمان والمكان وجنس المادة المستعملة في الكتابة أهي من البردي او الرق او الورق وعدد اوراقه وسماكته وعدد الاسطر في كل صفحة من صفحاته فتضمنه فروق وميزات وخصائص كالتلوين والتصوير والرسم والتجليد وانواع

وما لبثت ساعة المنبه التي كانت تؤنس ليله في الماضي ان سقطت على الارض وتحطم زجاجها ورن جرسها بعنف ! وماءت قطة على السطح مواء كريهاً وهي تعدو على سطح الغرفة .

وهنا فقط ، لم يجد على آغا للصبر مجالاً ، ولم يعد يطيق .. فصرخ باعلى صوته ، وانطلق يستغيث كالمجنون .. وقفز خارج الدار لا يلوي على شيء ..

* * *

وهنا نظرت اليّ جدتي ، والرعب يهزها ايضاً ، واستأنفت تقول ، بعد صمت لحظات :

= اعرفت الان يا ولدي ؟! .. منذ تلك الساعة لم يفكر احد بالدخول الى هذا البيت . انه مسكون .. وهل يمكن ان ينازع احد اهل الارض على مسكنهم ؟!

دمشق — عبد الغني العطري

الجلد وما اليها من نقوش وزخرفة وتزميك وتزويق .

الا انه من المستحب جداً ان لا نشغل باستطرادات وتفاصيل لا طائل تحتها . وان كان لا بد منها ان نرشد الباحث الى طبعة جديدة للمخطوط المدروس او ندله على مصـدر آخر من مصادر المراجعة والتقصي العلمي يجد فيه من الشروح والتعاليق والنقد ما انت في حل من اثباته في ما اختير في فهرسه .

تحوي البطاقة الخاصة بفهرس المخطوطات العنـاصر الرئيسية التالية :

اسم المؤلف — عنوان الكتـاب — مضمونه — الاشارة الى المراجع والمصـادر — الرقم العلمي لموضوع الكتاب — الرقم « الاداري » . نذكر هنا أهم ما يجب كتابته على البطاقة .

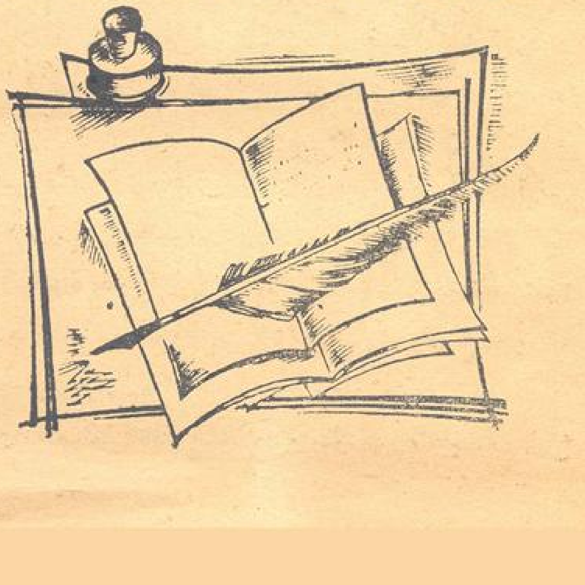
العنوان : يرسم عنوان المخطوط على سطر واحـد بحرف بارز وبلغة المخطوط نفسه . ولا يعتمد في ذلك على العنوان الذي كتبه المجلد او المؤلف على ظهر الكتاب فقد يكون مجزوءاً او مخروماً او مغلوطاً فلا يصح الركون اليه ولا اثباته على علاته .

قد يحوي المخطوط الذي تأخذ في درسه عـدة مؤلفات لمؤلفين مختلفين فالعنوان يكون — والحالة هذه — عنوان القسم الاهم من المجموعة التي يتضمنها المخطوط ثم تشير الى الابحاث الاخرى بايجاز .

اما اذا تعادلت اقسام المجموعة التي تحتويها المخطوطة اتساعـاً واهمية فيجب ان تذكر متتالية بحسب ورودهـا مع الاشارة الصريحة الى عدد صفحاتها وموقعها من المجموعة الموصوفة

اذا كان المخطوط مجموعة من المختارات والمقتطفـات وجب تعريفه بوصف خاص فنقول : مختارات تاريخية او ادبية او علميـة او فلسفية الى غير ذلك من النعوت التي تعرف القاريء تعريفاً اولياً .

وعلى الاجمال يجدر ان تذكر كل الاوصاف والافادات التي



من شأنها ان تزيد القاريء تعريفاً بالمخطوط ويجدر ايضاً ان يشار الى الاقلام التي يحتويها والحبر ومادته ونوعه وحالته .

كذلك ان تقابل النسخة التي لديك من المخطوط الذي انت آخذ في درسه بغيرها من النسخ التي سبق فوصفهـا المفهرسون في الادلة التي وضعوها للمخطوطـات في خزائن الكتب في الشرق والغرب مع الاشارة الى الرقم الذي يحتله في الخزانة المذكورة .

وعلى المفهرس ان يشير فيما اذا كان المخطوط الذي يعنى بوصفه مطبوعاً ام لا فاذا كان سبق نشره ذكر اسم الناشر وتاريخ النشر ومحله وعدد الصفحات في النسخة المطبوعة واسم المطبعة وسنة النشر

واذا كان المخطوط مؤرخاً بذكر السنة الهجرية ام الميلادية ذكرت السنة في البطاقة الفهرسية والا وجب تحديد تاريخ المخطوط المذكور بالاستناد الى ما فيه من عناصر الورق والخط والقـلم وانواعه والحبر والتجليد او ما تعرفـه من تاريخ المؤلف او الناسخ وحياته وعصره .

كذلك قد يكون سبق لاحد الادباء نشر بعض فصول المخطوط المذكور فيجب الاشارة الى ذلك في اسفل البطاقة والتنويه بظروف النشر وما رافقه من دروس وتعاليق ادبية نقدية .

كان من عادة الاقدمين في الكتابة ان لا يرقّموا الصفحـات فيستعيضون عن الارقام بالتصفيح وهي ان يثبت الكاتب في بدء الصفحة التالية الكلمة الاخيرة من الصفحة الـتي قبلها فاذا توالت الصفحات مضبوطة التصفيح كان المخطوط كاملاً والا فهو ناقص او مجزوء .

ويجب ذكر المؤلف وذكر ما عرف بـه من شهرة او لقب وان يشار الى سنين حياته بالتاريخ الهجري والميلادي وهنا يجب الاستعانة للتعريف بالمؤلف بكتب السير والتراجم والطبقات وما جاء فيها عنه والتحقيق بالرواية لاستخراج الحقيقة العلمية الصحيحة

وقد سار على هذه القواعد العلمية العامة في وصف المخطوطات كبار المفهرسين من علماء الشرق والغرب ولا سيما ائمة المستشرقين ممن عنوا بوصف المخطوطات العربية في الخزائن الغربية . وقد بلغ المرحوم « اهلورد » القدح المعلى في هذا الفن الشاق بوضعه الدليل الكبير للمخطوطات العربية في مكتبة برلين الاهلية . والدليل المذكور يقع في عشرة مجلدات ضخمة من الحجم الكبير تولى فيها وصف ما يربو على عشرة الاف مخطوط عربي بصورة فنية دقيقة تعجز الكثيرين من المتمكنين في هذا الفن

نور الدين بيهم